

النقطة التي أغرقت البعير

بروفسور إبراهيم القرشي ×

× أستاذ بكلية اللغات والترجمة جامعة الرباط الوطني/ وزير الثقافة والإعلام بولاية الجزيرة

قد يتساءل القارئ؛ ما الذي أدخل أهل اللغة في مجلة صحية، والإجابة لا تخفى على ذي بصر، فاللغة هي وعاء الأفكار وسلامة الوعاء تضمن سلامة ما يصب فيه، وحسناً فعل القائلون على هذه الإصدار المهمة النافعة حين وضعوا ذلك نصب أعينهم فشرقونا بالانضمام إليها، وسأثير في هذه الاستراحة أشياء غريبة وعجيبة مما ذكره علماء اللغة فيما يتعلق بالطب والصحة، أما هذه المرة فمعلوم أن أخطاء الرسم والإملاء واللغة والتطبيع والتصحيح كلها أمور قاتلة، نعم كلنا خطاءون وكلنا نصحف ولكن الكامل من عدت سقطاته ... وقد صَحَّفَ قبلنا الفتهاء والمحدثون وعلماء اللغة والشعراء والخلفاء ولكنهم كانوا معذورين لرداءة الخطوط اليدوية أما نحن وفي عصر التقنية المتقدمة فالسبيل إلى عدرتنا ضيق ولتبدأ بتصحيقات السوادانيين فقد استعدَّ أحدهم للسفر إلى ليبيا فكتب له أخوه المغرب هناك يحذِّره بأن ليبيا ليس فيها سَكْر - بفتح السين والكاف - فما كان من والدهما إلا أن وضعت في حقيبته أنها المسافر أرتالاً من السُّكْر - بضم السين - فلما وصلوا ليبيا وفتحوا الحقيبة ووجدوا السكر عرفوا أن الذي قرأ الرسالة للوالدة كان بارعاً، وللمحدثين - رواة الحديث - تصحيقات شنيعة، قال العسكري: كان عندنا شيخ من المغفلين يروي الحديث فروي يوماً أن النبي صلى الله عليه وسلم (كان يغسل حُصَى حماره) - بالخاء جمع حُصَيَّة - وإنما الحديث: (يغسل حُصَى حماره) بالخاء يعني كان يغسل الحصى الذي يرمي به التجمرات في الحج.

ويروي عن الشافعي - وناهيك به إماماً وعالمًا - أنه قرأ يوماً: ويستحب في المؤذن أن يكون صبيًا - يعني فتى صغير السن - فتيل له: لماذا؟ قال ليكون قادراً على صعود درج (سُلم) المثدنة، وقد غلط، وإنما الحديث (أن يكون صبيًا) يعني صاحب صوت حسن قوي، وجواب الشافعي على ما فيه من وهم فيه حسن لتليل بديع يدل على الأستاذية، وحتى لو صحت الرواية فقد أغنانا الله عن طلوع السلاطيم بمكبرات الصوت فيمكنك أن تؤذن واقفاً أو جالساً أو مضطجعاً إلا أن تراعي السنة والأثر.

أما الكُتَّاب فحدث عن تصحيقتهم ولا حرج، فقد قرأ أحدهم قصة أمام الخليفة العباسي المأمون فقرأ (أبو ثريد) يعني (أبو يزيد) فقال لهم المأمون: كاتبنا اليوم جوعان فأطعموه ثريداً، والثريد هو الفتة أم ثم بشحمها ولحمها.

وأما تصحيح الأشعار ففيه طرائف لا تسعها مجلدات فقد قرأ أحدهم على أبي العباس ثعلب: "ولو كنت في حُبِّ ثمانين قامة" قرأها بالخاء، والصحيح بالجيم والجُبُّ هو البئر من قوله تعالى "وألقوه في غيابة الجُبِّ..." أما الحُبُّ بالخاء - كما قرأها صاحبنا فهو الزير أو القُلة أو الجرَّة. فقال ثعلب: خرب بيتك، رأيت حُباً ثمانين قامة؟ والقامة من المتائيس عندهم وهي طول رجل وهي موجودة عندنا حتى الآن نقول (بئر عمقتها سبعة رجال) وانظر قول ثعلب للرجل: خرب بيتك ... أليست هي (يخرب بيتك) الشائعة عند إخواننا المصريين اليوم، وبالمناسبة فإن قولنا لمن يطلب متاً شيئاً: "حُباً وكرامة" قالوا معناها: قلة ومعها غطاؤها، وهي هدية قيمة عندهم خصوصاً في الصيف، وربما نجى التصحيح من الهلاك، فقد ذكروا أن هارون الرشيد كانت له جارية حظية سمراء اسمها (خالصة) فهجأها أبو نؤاس بقوله:

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع عقد على خالصه

فلما بلغها غضبت وشكته للرشيد فأمر بإحضاره وقال له: يا ابن الناعلة تعرِّض بحظيتي؟ فقال وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال قولك: (لقد ضاع شعري ... البيت) فاستدرك أبو نؤاس بداهة وخبت وقال يا أمير المؤمنين لم أقل هكذا إنما قلت:

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع عقد على خالصه

فسكن غضب الرشيد ووصله بجائزة، قال بعض الأدباء: هذا بيت قلعت عيناه فأبصر.

والذي يريد فداحة التصحيح وأنه قاتل، خصوصاً إذا ما وقع في أمر قضائي عاجل، ما كتبه سليمان بن عبد الملك إلى أمير المدينة: أن أحصِ المُخْتَنِينَ من قَبْلِكَ، يعني بين لنا عددهم وكان هذا الخليفة شديداً على أهل الفجور والفسق فصَحَّفَ كاتبه الحاء وخطها بالخاء، ففعلها والي المدينة ونفذ التعليمات في خبر مضحك طويل يمكنكم مراجعته في كتب التراث.

وأخيراً قد يتساءل قارئ هذه الاستراحة عن أنني عنوانت ما كتبه بالنقطة التي أغرقت البعير ولكن المثالة ليس فيها شيء من هذا القبيل فأقول له إذا كتبت أنا: (عرق البعير) بالعين المهمة فجئت أنت فترأتها بالعين المتقوطة فماذا يكون؟